

المحاضرة العاشرة / المرحلة الثانية

التشبيه

للتشبيه روعةٌ وجمالٌ، وموقعٌ حسنٌ في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعةً ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونُبلاً، فهو فنٌ واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، مُتَشعَّبُ الأطراف، مُتوعرُ المسلك، غامضُ المدرك، دقيقُ المجرى، غزيرُ الجدوى.

ومن أساليب البيان أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوفٍ، مع التوضيح، أو وجه من المبالغة، عمدت إلى شيءٍ آخر، تكون هذه الصفة واضحةً فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلةً، تجعلها وسيلةً لتوضيح الصفة، أو المبالغة في إثباتها، لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.

تعريف التشبيه: التشبيه: لغة التمثيل، نقول: هذا شبه هذا ومثله.

والتشبيه اصطلاحاً: هو مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى بأدواتٍ معلومةٍ أو هو عقدٌ مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفةٍ أو أكثر، بأداةٍ، لغرض يقصده المتكلم للعلم، كقول المعري في المديح:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا وزت كيوان في علو المكان

حيث عرّف الشاعر أن ممدوحه وضيء الوجه مثلألى الطلعة، فأراد أن يأتي له بمثيل تقوى فيه الصفة، وهي الضياء والإشراق، فلم يجد أقوى من الشمس، فضاهاها بها، وليبين المضاهاة أتى بالكاف.

وكقول الشاعر:

كأن أخلاقك في لطفها ورقة فيها نسيم الصباح

فقد وجد الشاعر أخلاق صديقه دمةً لطيفةً ترتاح لها النفس، فعمل على أن يأتي لها بنظير تتجلى فيه هذه الصفة وتقوى، فرأى أن نسيم الصباح كذلك، فعقد المماثلة بينهما، وبين هذه المماثلة بالحرف "كأن".

ومن هنا نرى في كل بيت من البيتين السابقين أن شيئاً جعل مثيل شيءٍ في صفةٍ مشتركةٍ بينهما، وأن الذي دل على هذه المماثلة أداة هي الكاف أو كأن، وهذا ما يُسمى بـ "التشبيه"، فقد رأيت أن لا بد له من أركان أربعة: الشيء الذي يراد تشبيهه

ويسمى "المشبه"، والشئ الذي يُشَبَّه به ويسمى "المشبه به"، والصفة المشتركة بين الطرفين وتسمى "وجه الشبه"، و"أداة التشبيه" وهي الكاف وكأن ونحوهما.

أركان التشبيه:

١- المُشَبَّه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره، "وقد يكون المشبه محذوفاً للعلم به، ولكنه يُقدَّر في الإعراب، وهذا التقدير بمثابة وجوده كما إذا سُئِلت "كيف عليّ؟" فقلت: "كالزهرة الذابلة" فإن "كالزهرة" خبرٌ لمبتدأ محذوف، والتقدير: "هو الزهرة الذابلة".

٢- المُشَبَّه به: هو الأمر الذي يُلحق به المشبه، وهذان الركنان يسميان طرفي التشبيه.

٣- وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف كما سيأتي توضيحه.

٤- أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تُذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف.

القواعد الرئيسية

البيان: أصولٌ وقواعدٌ يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة.

البيان في اللغة: معناه الظهور والوضوح والإفصاح، وما تبين به الشئ من الدلالة وغيرها، نقول بان الشئ بياناً: اتضح، فهو بين.

والبيان: الفصاحة واللسن، وكلام بين: فصيح، وفلان أبين من فلان: أفصح وأوضح كلاماً منه. ثم أخذت كلمة "البيان" دلالاتها الاصطلاحية في ما بعد فأصبح "البيان" أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: "البيان والمعاني والبدع".

تداخل علم "البيان" بادئ الأمر مع علم "المعاني"، واستوعب بعض مباحثه لاحقاً، وشمل علوم البلاغة كلها بعض الأحيان.

التشبيه: هو مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى بأدوات معلومة.

أركان التشبيه أربعة: المُشَبَّه، والمُشَبَّه به، "ويسميان طرفي التشبيه"، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المُشَبَّه به منه في المُشَبَّه.